انغلاق الهوية وغياب ثقافة الاختلاف في المجتمعات الإسلامية "دراسة تحليلية للأبعاد والدلالات النفسية"

حسن على حسن مسلم*

* قسم علم النفس _ كلية الآداب _ جامعة المنيا

انغلاق الهوية وغياب ثقافة الاختلاف في المجتمعات الإسلامية "دراسة تحليلية للأبعاد والدلالات النفسية"

الملخص_ *هدفت الدراسة الى الربط بين انغلاق الهوية وغياب أو عدم احترام ثقافة الاختلاف في مجتمعاتنا الإسلامية والتعرف على أبعاد هذه المشكلة ودلالاتها أو تأثيراتها النفسية، من خلال منهجية تعتمد على الوصف التحليلي الكيفي. وفى اطار ذلك تضمنت الدراسة، تحليلا لمفهوم الهوية وأهميتها ومتعلقاتها، وكذا مفهوم انغلاق هوية الأنا الأيديولوجية ورتب أو مستويات تحقيقها (التحقق، التعليق، الانغلاق، التشتت). ومشكلة الهوية في الإطار العربي الإسلامي، أضف الى ذلك أبعاد غياب ثقافة الاختلاف وانغلاق الهوية، وأهمية فهم أنماط التدين ودورها في بناء الهوية. كما أوضحت الدراسة الدلالات النفسية السلبية المرتبطة بانغلاق الهوية، من انتشار للأصوليات الدينية المتشددة، والإحساس الزائف بالاستعلاء والميل للأقصاء والأبعاد المذهبي للأخر المختلف. وتنتهى الدراسة الى عدة استخلاصات متعلقة بصياغة الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية.*

1. المقدمة

يعتبر بعد الانفتاح – الانغلاق، أحد الأبعاد التي يصنف وفقاً لها مفهوم الهوية (سواء أكانت شخصية أم اجتماعية، أم دينية، عرقية أم سياسية.. إلخ). وتصنف الهويات الدينية المتشددة – غالباً – على أنها هويات مغلقة، تملك الثبات واليقين ضمن مصادر معرفة جاهزة لا يمكن للمرء تجاوزها أو توجيه النقد والشك فيها. ويترتب على ذلك النظر لكل ما هو جديد ومختلف عنها على أنه معرض للنبذ وإطلاق الأحكام القيمية السلبية المسبقة تجاهه.

وعلى الرغم من أن تكوين الهوية واستمرار فعاليتها في محيطها الاجتماعي بشكل إيجابي هو أمر مسلم به، عبر عمليتي التمثل والمواءمة اللتان تمثلان أساساً لعملية التوازن النفسي أو المعرفي وفقاً لتصور جان بياجيه عن النمو المعرفي للفرد، إلا أن إعاقة نموها وتحولها إلى هوية مغلقة سلبية غير إيجابية، يمكن أن تتم بفعل بعض الفاعلين الاجتماعيين (المتشددين ذوى التأثير السلبي) الذين يملكون سلطة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية، وهم بذلك يرسخون ذلك الثبات والانغلاق.

ومن ناحية أخرى، تطرح إشكالية الاختلاف نفسها بقوة في كل ثقافة إنسانية، ولا يوجد مجتمع يخلو من التعدد والتنوع. ففي عام (2002) أعلنت الأمم المتحدة يوم 21 مايو يوماً عالمياً للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية، واعتماد قيم الانفتاح والتسامح والنسبية والتعددية وحقوق الإنسان، وأن جوهر الديموقراطية هو تقبل الاختلاف [1].

ولأن الانغلاق يعني الميل للانعزال والتصلب المعرفي وتعطيل عمليتي التمثل والمواءمة لتنقيح الهوية ومسايرة مكوناتها لعمليات التغير الاجتماعي، فقد يفضي ذلك لهوية معطلة أو ذات تأثير سلبي (شخصياً أو اجتماعياً، دينياً أو سياسياً، ثقافياً أو مهنياً... إلخ). وكما يوضح ماك أندرو فان التصلب بأنه دالة إيجابية للعزلة Isolation، وهذا يعني أن درجة التصلب تزيد كلما زادت عزلة الشخص، لما تفضي إليه العزلة من فقدان للاحتكاك والحرمان من الخبرة ومصادر المعلومات والتصحيح في العالم الخارجي [2].

2. مشكلة الدراسة

تتمثل اشكالية هذه الدراسة في أن بعض الأفراد والجماعات في مجتمعاتنا الإسلامية قد يتبنون هويات تتسم بالانغلاق وعدم الانفتاح على الآخر المختلف (سواء حدث ذلك في إطار شخصي أو اجتماعي، ديني أو سياسي، عرقي أو مهني... إلخ)، وهو ما قد يفضي للتصلب والتعصب وينتهي بالعنف والتطرف السلوكي، تجاه الآخر المختلف عنا دينياً أو عرقياً أو سياسياً أو اجتماعياً.. إلخ، والانخراط في عمليات التنميط الاجتماعي السلبي لأفكار وسلوك الآخر.

والمفارقة التي يجب إدراكها ولا ينتبه إليها كثير من الأفراد والجماعات، أن الهوية من حيث مبادئها (الاستمرارية، التمايز، تقدير الذات) لا تحدث أو تعمل إلا في إطار وجود الآخر المختلف. وكما يوضح العيلاني [3] فإن الهوية لا تستمد كينونتها من ذاتها فقط بل من خلال الآخر المفارق لها، وهذا يعني أنه لا معنى لمتطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف اللذين يمثلهما الآخر فرداً كان أم جماعة".

أ. أهداف الدراسة

بشكل محدد تستهدف الدراسة الحالية ما يلي:

– تحليل مفهوم الهوية من حيث طبيعته وأهميته ومتعلقاته. بما فيها انغلاق الهوية كمكون نفسي مرتبط بمفهوم الذات.

– توضيح أهمية التنوع والاختلاف الثقافي بكل أشكاله والحاجة الملحة ليس فقط للاعتراف باختلاف الثقافات ولكن أيضاً احترام ثقافة الاختلاف كقيمة يمكن أن تترجم إلى اجراءات سلوكية، تتجاوز مشكلة التميز الذى يتحول إلى تمييز (ديني أو عرقي، شخصي أو اجتماعي، سياسي أو مهني.. الخ)، وتحول دون تحول الاختلاف إلى خلاف، وتدعم عملية التصالح والحوار بين الثقافات والحضارات.

– التعرف على أبعاد وديناميات غياب ثقافة الاختلاف وانغلاق الهوية في مجتمعاتنا الإسلامية.

– توضيح بعض الدلالات أو التداعيات النفسية السلبية المترتبة على الظاهرة موضوع البحث.

– طرح استخلاصات لمعالجة مشكلة الانغلاق المعرفي للهوية وعدم تقبل أو احترام ثقافة الاختلاف والتنوع كظاهرة سلوكية.

وفيما يلي تفصيل لذلك:

أولاً: مفهوم الهوية: (طبيعته – أهميته – متعلقاته)

يوضح لانج [4] أن الهوية تعني احساس المرء بأنه هو هو، وأنه مشابه لنفسه في الماضي والحاضر والمستقبل، فهي إطار يحدد به المرء ذاته. وكما توضح جلينز بريكويل فإن مفهوم الهوية يقترن مع مفاهيم السمعة (Character) والذات (Self) والشخصية (Personality) والتي تستخدم لكي تشير إلى زملة متفردة أو مجموعة من الخصائص النفسية والاجتماعية والسلوكية التي تميز الشخص عن الآخرين [5].

وبشكل محدد يمكن القول بأن مفهوم الهوية أقرب ما يكون لمفهوم صورة الذات، فهي تكوين افتراضي يشتمل على مجموعة من التصورات أو المدركات الخاصة بالمرء عن ذاته، عما كان عليه في الماضي، وما هو عليه في الحاضر، وما سيكون عليه في المستقبل، من نواح كثيرة (جسمية، عقلية، اجتماعية، انفعالية... إلخ) [6].

ووفقاً للنموذج الذى طرحته جلينز بريكويل يمكن الإشارة إلى أبعاد مكونات مفهوم الهوية من خلال ثلاثة محاور أساسية هي: أبعاد الهوية (بعد المحتوى / بعد القيمة)، بعد عمليات الهوية (التمثل، والمواءمة، التقييم)، مبادئ الهوية (التميز أو التمايز، الاستمرارية عبر الزمن، الشعور بالجدارة الشخصية والقيمة الاجتماعية أو تقدير الذات) [5].

– كيف تتفاعل الهوية مع الواقع الاجتماعي؟

من الناحية البنيوية يتمثل السياق الاجتماعي الذي تتخلق الهوية في إطاره وتتفاعل من خلال بعدين أساسين هما:

– بعد البنية أو المكونات المادية للسياق الاجتماعي.

– بعد العملية، وهي تعني عمليات التأثير أو التطبيع الاجتماعي بأشكاله المختلفة.

ومن حيث البنية فمن المفترض أن الهوية هي نتاج للتفاعل بين الفرد وتأثيرات العالم الفيزيقي والاجتماعي الذى يعايشه. فالسياق أو الواقع الاجتماعي للهوية يتشكل من خلال شبكات العلاقات الشخصية المتبادلة، وعضوية الجماعات والعلاقات داخلها. ومحتوى الهوية يتم استدماجه أو تكوينه من خلال هذه الأبنية المتعلقة بالواقع أو السياق الاجتماعي. حيث يزود كل منها الفرد بالأدوار التي يضطلع بها، ويطرح أنساقاً من المعتقدات والقيم التي تحدد أنماط السلوك والاتجاهات المقبولة، وتشيد رموز القيم والأخلاق، وهو ما يعني – أيضاً – تزويدنا بالمحكات التي يتم على أساسها عملية تقييم الهوية [5].

وفيما يتعلق ببعد العملية، فهي تعني عمليات التأثير الاجتماعي

وذلك يتمثل في محاولة تطويع الأفراد والجماعات الأخرى لأفكار ومعتقدات واتجاهات وقيم جماعة معينة، أو ما يسمى بالأيديولوجية. وتعبر عمليات التأثير الاجتماعي عن نفسها من خلال أنشطة عديدة (منها: التعليم والإقناع، القهر والإعلام... إلخ) وباستخدام أساليب قائمة على افتراضات متنوعة مثل (الإثابة والعقاب، العقلانية، المناقشة المعرفية... إلخ). وتهدف كلها لخلق سياق أيديولوجي متعدد الأبعاد لنمو الهوية، ويحتوي السياق الاجتماعي على عديد من الأيديولوجيات المتنافسة وهى أنساق لتقييم الظواهر الاجتماعية، والتي تنجم عن الحاجة للتغيرات الاجتماعية وأساليب إحداثها. وتترجم هذه الأيديولوجيات في شكل تمثلات اجتماعية (Social representations)، تتجسد في قواعد وطقوس ومعتقدات اجتماعية، وتنميطات وأشكال محددة للعزو الاجتماعي [7].

ثانياً: انغلاق الهوية

في نهاية الستينات من القرن العشرين، قام جيمس مارسيا [8] بمحاولات رائدة في تطوير نظرية أريكسون في تشكيل الهوية، وتحديدها بشكل إجرائي، حيث اشتمل تحديد الهوية لديه على مجالين أساسين هما:

1- هوية الأنا الأيديولوجية Ideological Identity Ego والتي تتحدد من خلال الأنا والمعتقدات التي يتخذها الفرد لنفسه، في إطار أربع مجالات (هي: الدين، السياسة، العمل، الحياة).

2- هوية الأنا الاجتماعية أو البينشخصية (Interpersonal ego identity):

وتتحدد من خلال اختيارات الفرد في مجالات الحياة الاجتماعية، عبر أربعة مجالات هي (الصداقة، الترفيه، الدور النوعي، العلاقة مع الجنس الآخر).

يتحدد تشكيل هوية الأنا الأيدلوجية الاجتماعية عبر أربع رتب أو مستويات لتشكيل الهوية وفقاً لمعيارين مهمين هما: معايشة أزمة الهوية، والتعهد والالتزام بخيارات محددة للتعامل مع الأزمة. وتتمثل هذه الرتب الأربع في (التحقيق، التعليق، الانغلاق، التشتت).

- ويعني تحقيق هوية الأنا (Ego identity achievement) معايشة الفرد لأزمة الهوية في إطار عمليه الاختبار للخيارات المتاحة من حيث المعتقدات والأدوار والتعليم والعمل والزواج... إلخ. وتبني اختيارات مناسبة والالتزام بها، بشكل يؤدي لمزيد من التوافق الجيد مع الذات المجتمع (خبرة للأزمة وإظهار للالتزام).

- أما تعليق الهوية (Ego identity moratorium) فيعني استمرارية الفرد في اختبار البدائل المتاحة دون حسن عملية الاختيار، أو إظهار الالتزام بخيارات محددة في مجالات الحياة المختلفة (خبرة للأزمة وعدم إظهار للالتزام).

- أما انغلاق الهوية (Ego identity foreclosure) فيعني عدم مرور الفرد أو مواجهته لأزمة الاختيار، فلا يواجه تحديات ولا يمارس تحقيقاً للذات في إطار اختيارات محددة في مجالات الحياة السالف الإشارة إليها، ويقنع فقط أو يلتزم بما يحدد له من أدوار أو أهداف (من قبل الآخرين والوالدين، والرؤساء، والأقران... إلخ). ولا يمر بأزمة الهوية المتمثلة في البحث الذاتي عن الخيارات المتاحة المتفقة مع استعداداته (غياب للأزمة وإظهار للالتزام).

- وأخيراً فإن تشتت هوية الأنا (Ego identity diffusion) يعني أن من يقع في إطار هذه الرتبة هو لا يواجه أو يعايش أزمة الهوية أو تحديات تحديد الاختيارات في مجالات الحياة، ولا يظهر التزاماً بما يقوم به من أدوار (غياب كلاً من الأزمة والالتزام) [9].

وخلاصة القول إن انغلاق هوية الأنا يرتبط من جانب بغياب الأزمة، متمثلاً في عدم مرور الفرد بفترة التعليق المقترحة والمعتمدة على محاولته الذاتية لاكتشاف هويته ممثلة في اختبار وتجريب المعتقدات والأهداف والأدوار المتاحة بغرض الاختيار لما يناسبه منها، حيث يكتفى بما تحدده له قوى خارجية كالأسرة أو أحد الوالدين أو المعايير الثقافية والعادات، من أهداف وأدوار.

ومن جانب آخر فإنه يظهر قناعة والتزاماً بهذه الأدوار، إلا أن هذا الالتزام يختلف عن التزام تحقيق الهوية، إذ يكون التزاماً

غير خاضع، ولا يعتمد على الاختيار الذاتي بما يحدد لهم من أهداف. وكمثال على ذلك الانغلاق، اختيار الأفراد لأصدقائهم وأعمالهم وزوجاتهم وأفكارهم وفق رغبات الموجهين لهم دون تفكير منهم. وكنتيجة لهذه المسايرة يلاقي منغلقو الهوية في هذه الرتبة تقديراً من الكبار، بشكل يعزز هذا التوجه لديهم. ويؤدى بهم إلى افتقاد التلقائية في المواقف الاجتماعية وضعف الثقة بالنفس والاستقلالية، وضعف التوافق الدراسي، ووفقاً لمارسيا [8] فإنهم يعانون من ضعف المرونة في التفكير، والافتقار للعلاقات الاجتماعية [9].

وامتداداً لمفهوم انغلاق الهوية من حيث كونه أحد مراحل أو رتب تشكل الهوية، إلى كونه أحد الأبعاد التي تصنف وفقاً لها الهوية بأشكالها المختلفة الذاتية والاجتماعية. أي بعدي الانفتاح – الانغلاق، يمكن القول بأن الهوية المغلقة هي التي تملك الثبات واليقين ضمن مصادر معرفة جاهزة، ولا يمكن للمرء أن يتجاوزها أو يوجه سهام النقد إليها. أما الهوية المنفتحة فهي تستند لمصادر معرفية مؤسسة على المرونة والتسامح وتقبل الجديد المختلف عنها، وهي أيضا لها فاعليها الاجتماعيين والثقافيين [10] وكما يوضح العيلاني فإنه ليست هناك هوية مغلقة قابلة للحياة، فالتمسك بالذات والبقاء مع الآخر هو ما يجعل الهويات قابلة للاستمرار، فالهوية ليست بضاعة جاهزة بل هي تجربة إنسانية خاضعة لصيرورة العيش مع الآخر [3]

والجدير بالذكر أن تشكل الهوية في أي من مراحله أو رتبة لا يتم بمنأى عن مكونات الشخصية الأخرى من سمات ومفهوم الذات وعمليات التوافق النفسي الاجتماعي، حيث توضح الدراسات أن المحققين لذواتهم أكثر إيجابية في تصورهم لذواتهم وأكثر توافقاً معها ومع الآخرين، بينما يظهر المشتتين اتجاهات سالبة نحو الذات ودرجات أعلى من سوء التوافق النفسي الاجتماعي [9].

– ماذا عن انغلاق الهوية في الإطار الديني في مجتمعاتنا الإسلامية؟

من المفترض أن الإسلام تكون على هوية منفتحة في نشأته الأولى، من حيث تعددية المعرفة والتأويل حول مجمل الأمور المتعلقة بالسياسة والحكم والمجتمع، مع وجود إمكانية للتجاوز والتأسيس المختلف والمتغير. غير أن الممارسين للعمل السياسي دائماً ما يحولون المعرفة إلى يقينيات ثابتة، وأنه لا توجد إمكانيات للتغير أو الإصلاح. وقد تم ذلك في فترات لاحقة إبان الحكم الأموي، حيث جرت عمليات إنشاء لمدارس فكرية ومذاهب مؤسسة على الجبرية والمرجئة وغيرها من العلوم المتعلقة بالثبات المعرفي والديني لنموذج معين. واستمر ذلك إلى أن أصبحت المصادر المعرفية المشكلة حول الأصل المعرفي الأول لا يمكن المساس بها أو محاولة التساؤل حول طبيعتها وأصلها [10].

ومن هنا يمكن القول بأن الهويات المغلقة قد لا تشمل في داخلها مبررات العنف، ولكن يتم استدعاءها من جديد حول إمكانية فعل العنف ضمن الزمن الحاضر، وذلك الأمر تجده لدى الجماعات التكفيرية التي تبرر قتل الآخر المختلف بواسطة آيات القران، متناسية علوم مختلفة يقرها العلماء المسلمون أنفسهم، كعلوم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها، وكذا الكثير من الآيات التي تحث على الإيمان بالآخر المختلف، وتلك التي تحذر من قتل الإنسان بغير ذنب فكأنما قتل البشرية جميعاً، وغيرها من السور التي تدل على الانفتاح والحوار والمحبة والتواصل بين البشر أنفسهم.

بيد أنه يجدر الانتباه إلى أن الدين يمثل – إلى حد كبير – أحد مكونات الهوية أو أحد اشكال هوية الأنا الأيديولوجية – كما تم التوضيح سابقاً – ومع ذلك يتيح الدين الإسلامي قدراً كبيراً من الحرية في الاختيار لأى دين نريد أن نتعبد به. فالمبدأ الذى يحتكم إليه الدين هو أحقية المعتنقين له في أن يكونوا أحراراً في اختياراتهم ومعتقداتهم وهو ما يعني الإقرار بمبدأ الاختلاف، فالحرية تعنى الاختلاف والدين يعترف وينظم هذا الاختلاف على قاعدة أخلاقية وتشريعية، وغابات الدين ومكوناته المعرفية والتشريعية تتبنى هذا التصور بل يعد مقصداً من

مقاصده العليا. ففي التجربة الإنسانية يلح الدين على أهمية العقل والتكريم وعلى الوظيفة التحريرية للدين في المجتمع، الذى خصه القران بسمة تكوينية هي الاختلاف (ولا يزالون مختلفين) سورة هود 118 بل إن الاختلاف هو شرط وجود المجتمع الإنساني برمته (ولذلك خلقناهم) سورة هود 119.

فالدين سعى بما تضمنته تشريعاته ومقاصده إلى تنظيم هذا الاختلاف، وليس القضاء عليه، ليصبح الاختلاف تنوعاً يتماشى مع مقتضيات التغير الاجتماعي. وبعبارة أخرى جاء الدين الإسلامي ليعتني بطبيعة الروابط أو العلاقات التي يقيمها الناس فيما بينهم، فجعل رعاية أمور الآخرين والتعاون معهم والتقرب منهم وإليهم، شرط الحياة الاجتماعية المبنية على الثقة والتواد (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: 13) ووفقاً لهذا المبدأ فإن كل الهويات لها حق مقدس في الوجود [3].

– ثقافة الاختلاف بين الحضور والغياب في المجتمعات الإسلامية:

من المفترض– ابتداءً – من الناحية السياسية أن جوهر الديموقراطية هو تقبل الاختلاف، ومن الناحية الدينية فإن الدين الحقيقي المستند لنصوص الوحي الإلهي يمنح معتنقيه حرية الاختيار لمعتقداتهم [3].

وقد أشار صموئيل هنتغتون في كتابه (صراع الحضارات) إلى أهمية وخطورة فلسفة الاختلاف وبروز الهويات الثقافية للجماعات والمجتمعات، كعامل رئيس في تحديد علاقات الصداقة والعداوة بينها [11]. وهنا تبرز إشكالية الاختلاف وحضور النزعة الهوياتية كمعطى فاعل ولاعب على الساحة المحلية والدولية، وتمركز الصراعات في الداخل والخارج حول الاختلاف والهوية.

ومن الملاحظ أنه يوجد تناسب عكسي بين ثورة الإعلام والتواصل وانفتاح الفضاءات المغلقة من جهة، وانبعاث الخصوصيات والهويات الصغيرة وكل أشكال الارتداد إلى الذات، وبموازاة ذلك تتصاعد أشكال النزاع والصراع بين الثقافات (المرجع نفسه). ورغم أن هوس الهوية (أو التفرد) أو هاجس البحث عن الشبيه والمماثل شغل الفكر الإنساني حتى بداية السبعينات من القرن العشرين، إلا أن النقد الموجه لفكر الهوية على يد الفلاسفة المعاصرين (أمثال هيدجر وادورنو) أفضى لنشوء ما يسمى بفلسفة الاختلاف.

وفى الإطار العربي والإسلامي برزت مشكلة الهوية والاختلاف منذ عصر النهضة بسؤال من نحن، وسؤال العلاقة مع الآخر، ولماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ وقد عبرت هذه الأزمة عن نفسها من خلال الظهور المفاجئ على المسرح الإقليمي والمحلي للمكبوت العرقي والعشائري والديني والمذهبي والقومي. حيث شكلت الهوية عاملاً أساسياً في نشوء الصراعات والصدامات كظهور الهوية العرقية (الأمازيج، العرب، الأكراد، الفرس، الأحباش)، وظهور الهويات العقائدية (الحركات الإسلامية السياسية بكافة أنواعها)، وعودة ظاهرة الاختلافات الإسلامية المذهبية والطائفية بقوة (بين الشيعة والسنة، الصوفية والسلفية) والمسيحية (كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت).

والجدير بالانتباه أن هذه الاختلافات محكومة بآلية النرجسية الثقافية والحضارية والمذهبية نفسياً، وبمنطق الفرقة الناجية والاصطفاء والاستعلاء أيديولوجياً، والاعتقاد بالمركزية الحضارية والتفوق المذهبي والعرقي من الناحية المعرفية [1].

إن ما يجمع كل من هذه الطوائف والأديان والمذاهب هو عين ما يفرقهم، وما يجمعهم هو التفكير بآلية ذهنية استئصالية مشتركة هي منطق الهوية. فكل دين من الأديان يعتقد أنه وحده الدين الصحيح وما عداه كفر، وهرطقة وخروج عن الجادة. ومنطق الهوية يؤدى حتماً إلى منطق الفرقة الناجية الذى تدعيه كل هذه الملل، والذى يظهر بتسميات مختلفة (مثل: فكرة "شعب الله المختار" عند اليهود، أو الطريق والحق والحياة عند المسيحين، وخير أمة أخرجت للناس عند المسلمين، والأمة المركزية' عند الصينيين (المرجع نفسه).

خلاصة القول إن هذا التقوقع والانغلاق داخل هذه المركزيات،

هو الذى يطرح مشكلة التعايش بين هذه الأنساق العقائدية، ويهدد البشرية بالحروب والنزاعات. حيث تعيش الجماعات البشرية اليوم أزمة صراع هويات (مغلقة) وتنافر مركزيات عرقية وعقائدية.

– دينامية التفاعل بين هوية الأنا والآخر المختلف:

يمكن القول بأن ثمة نوع من العلاقة الجدلية، أو التفاعل الدينامي الذي يعتمد على عمليات التأثير والتأثر بين إحساس الفرد بهويته ووجوب اعترافه بهوية الآخر، أو اختلاف وتميز الآخر. فالهوية لا تستمد كينونتها من ذاتها فقط، بل من الآخر المفارق لها وليس المتصل بها فقط. ومن ثم لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف اللذين يمثلهما الآخر.

والمفارقة التي يجب إدراكها ولا ينتبه إليها كثير من الأفراد والجماعات، أن الهوية من حيث مبادئها (الاستمرارية، والتمايز، تقدير الذات) لا تحدث ولا تعمل إلا في إطار وجود الآخر المختلف. وهذا يعني أنه لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف الذين يمثلهما الآخر فرداً كان أم جماعة.. فما يجعلك موجوداً هو ما يميزك عن غيرك، وما يجعل غيرك موجوداً هو اختلافه أو تميزه عنك، فالتميز هو هويتك، ووجودك هو تميزك، ومطلب الهوية الإيجابية الفاعلة هو مطلب إنساني، وإقرار من الناحية الوجودية بالتعدد، ما دام التميز صفة ملازمة لها [3].

ويمكن في هذا الإطار الإشارة إلى ما يلي:

1– إن الهوية تقر من الناحية الوجودية بالتعدد، ما دام التميز صفة ملازمة لها، فتشبث كلاً من الفرد والجماعة بفرديتها أو خصوصيتها، يسهم بشكل تلقائي وغير مباشر في دفع الآخرين (أفراداً أو جماعات) في إبراز هوياتهم ووجودهم وتميزهم، ويمثل ذلك مبدأً أساسياً من الناحية العملية للتعددية.

2– إن بروز الهوية الفردية أو الجماعية لا يعني ضرورة إقصاء الآخر أو إبعاده أو عدم الاعتداد به وإلغاؤه من الوجود الفعلي أو الافتراضي، بل يقتضى ذلك الاعتراف به من الناحية الوجودية. فكل جماعة تحتاج لغيرها، أي تنجذب للجماعة المغايرة لها لإبراز هويتها، فهي لا تعرف نفسها وكذا الفرد، إلا ضمن هذه العلاقة الجدلية، وبمعزل عنها لا معنى للهوية.

3– إن المسافة الفاصلة بين الأنا والآخر واستمرارية وإيجابية التفاعل بينهما تلعب دوراً هاماً في الوعي بعمليات الهوية ومبادئها (من حيث بعدي المحتوى والقيمة، ومبادئ الاستمرارية والتمايز وتقدير الذات) واستمرارية عمليتي التمثل والمواءمة لتنقيح مكوناتها وأفكارها ومدى ملاءمة ذلك للواقع المتغير. وهو ما يمثل مؤشراً على مدى انفتاحها وإيجابيتها، أو انغلاقها وسلبيتها، وبدلاً من أن تكون عامل بناء وتوافق تكون عامل تعطيل وسوء توافق على المستويين الفردي والاجتماعي.

ثالثاً: أبعاد غياب ثقافة الاختلاف وانغلاق الهوية في مجتمعاتنا الإسلامية:

من المعروف أن الإسلام نشأ في بيئة جاهلية قائمة على العصبية والقبلية وانعدام الدولة، وانتشار قيم القبلية والصراع والقوة، وعدم الرأفة بالفقير والضعيف والمرأة، والعيش الدائم في حروب بين قبائل متصارعة فيما بينها. فأحدث تغيرات إيجابية في بنية المجتمع الجاهلي، وعمل على تجاوز الانغلاق الهوياتي لذلك المجتمع، وإن لم يؤد ذلك لأحداث قطيعة نهائية مع القيم الجاهلية التي ظلت عالقة لدى مجتمعاتنا ما دامت البيئة ذاتها لم تتحول بشكل تام يساعد على تجاوز البداوة أو الصورة المتكررة للبداوة ذاتها في فترات لاحقة، من تكوين الدولة العربية الإسلامية، بعد أن تحولت إلى ملك عضوض [10].

وعلى الرغم من أن كثيراً من الجماعات والأيديولوجيات الدينية الإسلامية تضع في مخيلتها وضمن أهدافها بعيدة المدى، محاولة إحياء أو بعث ما يسمى بنموذج المجتمع الإسلامي أو صورة الإسلام النقي أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يسود الاعتقاد لدى ما يسمى بأصحاب السلفية الجهادية، أن هناك إسلام واحد غير متعدد وفهم واحد لا يختلف، ولا سبيل للتعدد أو الاختلاف.

وكما يوضح سالم، [12] فثمة مفارقة تحدث حيث تتأسس المظاهر الجهادية في السياق المعاصر، على فهم لا تاريخي

لمفهوم الجهاد الإسلامي، يمنح الكفاح الجسدي الدور المركزي في صنع التاريخ. اعتقاداً بأن قيمة التضحية بالنفس لدى الأوائل تظل هي الآلية الوحيدة الممكنة لحفز حركة التاريخ واستعادة نهضة الأمة وكبريائها في مواجهة أعدائها، بشكل يفتح الباب على ما نراه من عنف عدمي وانتحار حضاري الأمر الذي يفتك بالأمة جسداً وروحاً.. وعلى العكس من ذلك يراه أرباب الظاهرة (أصحاب الهويات المنغلقة أو الأصوليون) فعلاً مقدساً وتوكيداً ضرورياً لهوية أمة صارت تعاني اغتراباً حضارياً وانكساراً سياسياً. ومن ناحية أخرى، يشير العيلاني [3] إلى أهمية فهم أنماط التدين ودورها في بناء الهوية، وكذا رصد مصادر الهويات التي تتجاذب الدين كأحد مكوناتها. وفي إطار ذلك يشير في تحليله لمجتمع المغرب – كنموذج – إلى وجود أربعة أنماط من التدين هي:

– التدين الرسمي: وله خطاب وأطروحات محددة، ويخضع للرقابة من خلال مؤسسات دينية تشرف عليها الدولة (وزارة الأوقاف مثلاً).

– التدين الشعبي: وهو مجال ديني اجتماعي يقتات على أنماط تدين ذات مرجعيات مختلفة الخلفيات والقيم والتمثلات. والذى لا ينضبط بالضرورة لمعايير التدين الرسمي وله عدة مصادر ومرجعيات من بينها توجيهات الدولة ومؤسساتها ورموزها، وأيضاً وسائل الأعلام وهو مرتبط بتحولات المجتمع (مثل: الطرق الصوفية، الإخوان المسلمين، الفرق والجماعات المذهبية.. إلخ).

– مجال الإسلام السياسي أو الراديكالي: وما يتضمنه من جماعات وحركات (مثل: الجماعات الإسلامية، الجهاد، حزب الله... إلخ).

– تدين افتراضي: وهو خليط من الخطابات الدينية التي يمارسها الإعلام المرئي على صعيد الفضائيات، والذى أصبح له جمهوره وأتباعه، والذين يعدون كتلة منقطعة تماماً عن التدين المحلي وغير مهتمة به، بحيث يتحقق لها الإشباع والفائض الديني (مثل: أتباع دعاة الإعلام المرئي أو الدعاة الجدد عبـــر الفضائيات الدينية).

ومن هنا عندما نسأل كيف يتدين الناس ؟ فإن هذا الأمر قد يكون خاضعاً لاجتهاداتهم الخاصة. فالعربي – غالباً – لا يتعلم دينه بل يتلقاه أو يصادفه، فنحن نتعلم كل شيء تقريباً إلا الدين ، لأننا نرثه أو نستكشفه من خلال الآخر، وليس نتيجة بحث أو دراسة أو علم، وإذا تعلمناه – غالباً– ما يكون بطريقة تلقينية مثيرة للجدل [3] وهو ما يوازي أو يعبر عن مضمون مرحلة انغلاق الهوية عند مارسيا السالف الإشارة إليه.

وخلاصة القول، رغم أن بروز الهوية الفردية أو الجماعية هو مؤشر للتميز، إلا أن ذلك لا يعني أنه يجب على الآخر التماهي أو النشابة مع هويتي. فالاختلاف كامن بيننا وهو مبرر ومصدر لتميزنا. فلا توجد هوية جماعية للتدين، أو مسار واحد لفهم كيف يتدين المجتمع. فمجتمعاتنا العربية تبدو متدينة بطرق وأنماط وأشكال متنوعة ومختلفة، أكثر مما كانت عليه في السابق.

وكما يوضح العيلاني، فإن طبيعة المرحلة الانتقالية التي تمر بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، يسودها إحساس بعدم الثقة في الذات لديها، وانتشار خوف يضمر عجزاً عن تحصيل فوائد العيش المشترك. وأن مطلب الهوية (وإبرازها والتمركز حولها) يصبح جحيماً (على المستوى الاجتماعي) عندما تسود مزاعم الخوف الوجودي أو الرغبة العمياء في البقاء، والخوف المرضي من الآخر، فهذه هوية تقتات من وجود أعداء وهميين (مختلفين)، لا وجود لهم إلا في مخيلة مجتمع وهمي [3].

رابعاً: بعض الدلالات أو التداعيات النفسية السلبية المترتبة على انغلاق الهوية وغياب ثقافة الاختلاف في المجتمعات الإسلامية:

يمكن القول ابتداءً أن ثمة علاقة تفاعلية أو مزدوجة التأثير بين انغلاق الهوية وعدم احترام ثقافة الاختلاف، وتصاعد حركة الارتداد لما يسمى بالأصوليات في مجتمعاتنا الإسلامية. حيث تعرف الأصولية من الناحية الدينية بأنها تعني الالتزام أو الرجوع للأصول، بمعنى العقيدة التقليدية، أي النص كوحى وسلطة. حيث ينظر للأصولي على أنه مالك للحقيقة وحارس للفضيلة.

فالأصولية في الدين كما هي في السياسة تبدو عقيدة مؤكدة وغير مهتزة [13].

ويوضح روجيه جارودي، أن ثمة مكونات أساسية ترتبط بمفهوم الأصولية تتمثل في: الجمود العارض لكل نمو وتطور، ورفض التكيف وعدم التسامح والانغلاق والتحجر المذهبي والتصلب والعناد والمحافظة والعودة إلى الماضي [14] وأن الاعتقاد بامتلاك الحقيقة أو صحة المعتقدات التي يدين بها منغلقو الهوية أو الأصولية، ينفي ضمناً صحة أي حقائق أخرى معارضة لما يعتقدونه. ومن المفترض أن يفضي ذلك للتعصب واضطهاد الآخرين، بشكل يخلق أجواء وظروف للتوتر والمواجهة، أكثر من التعاون والتفاهم والتسامح أو النكوص والميل للانسحاب والعزلة.

كما أن الاحساس بالاستعلاء بالإيمان والكمالية أو المثالية غير السوية، نتيجة استدعاء مثال أو نموذج نابع من نظرة أسطورية للماضي، يدفع لإعادة خلق عصر ذهبي وجد سابقاً، يفضي لنوع من النكوص والارتداد والحنين للماضي والميل للمحافظة والثبات وعدم تقبل التغير والتجديد. فانغلاق الهوية وبالتالي الأصولية تتناقض مع التجديد والحداثة. أضف إلى ذلك أن الإزدواجية والثنائية في التعامل هي من سمات منغلقي الهوية، ففي الوقت الذى يعلنون فيه رفض واقع معين أو إدانته والانفصال عنه لفظياً، إلا أنهم يعايشونه فعلياً، وفق ما يسمونه فقه الضرورة أو المصالح، وهي آلية يقصد بها تأجيل سلطة النص أو تأويله إذا اقتضت الضرورة أو المصلحة ذلك.

وأخيرا فإن الميل للإقصاء والإبعاد المذهبي والاجتماعي للأخر المختلف دينياً أو عقائدياً لدى منغلقي الهوية، يمتد للعلاقات الاجتماعية أيضاً في إطار ما يسمى بمفهوم الهجرة أو المفاصلة. وأن التأكيد على الاستشعار واليقظة لمشاعر العداء والكراهية من غير المشابهين لهم (غير المؤمنين) أمر مهم، وأن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم. وأن استحضار مشاعر العداء تجاه الآخر أمر ضروري، كأداة لقمع النقد والاختلاف [13]. ويبقى التساؤل ما العوامل أو الديناميات التي أسهمت في شيوع عمليات انغلاق الهوية وتصاعد الأصوليات المتشددة فكرياً أو دينياً كترجمة لذلك في مجتمعاتنا الإسلامية؟

يوضح زكريا، [15] أن التعصب لوجهة نظر دينية واحدة، أو لاتجاه طائفة أو جماعة معينة داخل وجهة النظر هذه، يلحق بالعقل تشويهات خطيرة، ليس أقلها ذلك الانغلاق الفكري الذى يوهم المرء بأنه هو الذى يملك الحقيقة الكاملة، وبأن كل من لا يسيرون في طريقه على باطل. وهذا الإحساس باليقين المطلق شديد الخطورة على التكوين العقلي للإنسان خاصة في مرحلة الشباب. وهو يؤدي للاستغراق في حالة من الطاعة والامتثال، والتمسك الصارم بالحقيقة الواحدة واليقين المطلق.

ويشير زكريا أيضاً، إلى أن عصور اليقين في حياة البشر كانت عصور الانحطاط، فهي عصور الفكر البدائي حيث كانت الأساطير تمثل يقيناً لا يتطرق الشك إليه. وفي العصور الوسطى الأوروبية عصور الظلام، كان الدين هو الحالة العقلية السائدة، يقين الحقائق المقدسة، وكما فهمتها الكنيسة ويقين المعرفة كما عرضت له كتابات الفلاسفة... وعلى العكس من ذلك، كانت عصور التقدم والمعرفة والوثبات الكبرى للأمام، كما في العصر اليوناني القديم، والمفكرين الإسلاميين في العصور الوسطى، وعصر النهضة الأوروبية [15].

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن انتشار الاتجاهات الأصولية المتطرفة وتحقيقها لمكاسب على حساب الخيار الديموقراطي في كثير من المجتمعات الإسلامية، إنما يرجع في جزء منه إلى غياب الدين الحقيقي عن الحياة الفعلية للأفراد في هذه المجتمعات بشكل أفضى لنوع من الفراغ الروحي لديهم، وهو ما ترتب عليه ارتداد البعض منهم بعنف إلى تبنى عقائديات أو توجهات دينية غير صحيحه لملء هذا الفراغ أو التعويض عنه في إطار ما يمكن تسميته بالوباء العقائدي [16].

ومن المهم أخيرا أن نؤكد على عدم الخلط بين الإسلام كدين منزه عن الهوى، وبين الفكر الإسلامي باعتباره اجتهادا يحتمل الصواب والخطأ، وكذا أنماط التدين المختلفة السائدة في المجتمعات الإسلامية. هذا فضلاً عن الابتعاد عن النظرة

الأحادية المغلقة للعالم (إسلاماً أو جاهلية) وكذا عدم تنزيه الذات (الهوية الذاتية) والاعتقاد بأنها حق مطلق، وتحقير الآخر ونفيه، بشكل يفضي للتقوقع والانفصال عن الواقع [17].

خامساً: استخلاصات لمعالجة مشكلة الانغلاق المعرفي للهوية وعدم تقبل أو احترام ثقافة الاختلاف والتنوع كظاهرة سلوكية:

من المفترض – كما تم التوضيح سابقاً – أن الهويات المعرفية تصاب بالانغلاق نتيجة الركود الثقافي والاجتماعي، ونتيجة عدم تواصلها ومحاورتها مع الآخرين من خلال تفعيل عمليات التأثير المتبادل والتي تحمل قدراً كبيراً من المعرفة والثقافة. وأن تعطيل هذا الأمر بفعل بعض الفاعلين في أي مجال من مجالات الحياة (الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمهنية...إلخ). يفضي لخلق هوية معطلة ومغلقة لخدمة مصالح فرد أو جماعة معينة، ويحول دون حرية التمثل والمواءمة للمعلومات، والاستقلالية في الحكم واتخاذ القرار وإبداء الرأي، (تحت شعار السمع والطاعة باعتبار ذلك شرطاً ضرورياً للقبول والرضا عن الفرد في الجماعة).

ويجدر القول بأن الهويات المغلقة ذات الطبيعة الدينية أو غير الدينية، يترتب عليها نوعاً من الخطاب الانغلاقي الذي لا يمجد العنف وإقصاء الآخر فقط، بل لديه القدرة على تعطيل الزمان والمكان لقدرات بشرية تملك الطاقة والعمل والإبداع. وهو ما يفضي لهجرة العقول الثقافية والعلمية والأدبية، ويؤدي – أيضاً – لطغيان هذه الهويات المغلقة، واستخدام خطاب التجريم والتخوين للآخر المخالف والمحايد أيضاً [10].

والجدير بالذكر – أيضاً – كما يوضح المسعودي أن الهويات المفتوحة (المستقلة) في أزمتنا الراهنة تعمل في ظل ظروف عصيبة، لأنها تواجه سوء التأويل والمراقبة الدائمة سواء من قبل سلطة الدولة الاستبدادية أو من خلال سلطة المجتمع المثقل بفاعلين سلبيين ومعطلين لقيمة التجديد والتطور. ولأن الهويات المعرفية المفتوحة تخاف من سوء التأويل لمعارفها وأفكارها فإنها قد تبدو ضبابية وغير واضحة – أحياناً – أو هامشية فيما تقدم من معرفة، مع وجود خوف مضمر من الآخر على أنه عدو أو إقصائي يحاول أن يلغى ذاتي. ويعني هذا أن هذه الهوية التي تبدو منفتحة ظاهرياً، قد تكون مقادة فعلياً من قبل فاعلين دينيين أو سياسيين أو ثقافيين لا يرون العالم إلا من زاوية خاصة، وكأن العالم باق على حاله وشكله وطبيعته ضمن عالم مغلق أو ضمن هوية مغلقة [10].

بيد أنه يمكن الإشارة إلى عدة استخلاصات أو نقاط مهمة تمثل إضاءات للاسترشاد بها في معالجة هذه المشكلة في مجتمعاتنا الإسلامية تتمثل فيما يلي:

أولاً: إن صياغة الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية كعملية ثقافية كبرى ليست عملية أحادية، بل مزدوجة أو ذات جانبيين هما:

أ: التعرف على الذات الحضارية (الإسلامية) ومكوناتها وما هو جوهري فيها، وما هو عرضي أو طارئ عليها وقد يكون معطلاً لمسيرتها والإسراع في تبديله، بهدف تجديد هذه الذات والمساعدة على انسجامها مع حركة التاريخ والتعاطي المرن مع مقتضيات الثبات وعوامل التغير.

ب: التعرف على الآخر المخالف والتعامل معه بإيجابية وادراك وفهم نقاط قوته وضعفه، وجوانبه النفسية السلبية (عقدة) التي تثقل كاهله، بغرض الابتعاد عنها، وتقدير جوانب الإيجاب والقوة فيه والاستفادة منها وابداء الاحترام لها، فالأمم كالأشخاص تحتاج للتقدير المعنوي وتحب من يمنحه لها، وتكره من يتعالى عليها ازدراءً واحتقاراً [12].

ثانياً: إن تحديد المرء لذاته أو هوية الذات الايديولوجية يمكن أن يتم بإحدى طريقتين هما:

أ: طريقة إيجابية تركز على مزايا الشخص وخصائصه وإمكاناته وإنجازاته وطموحاته بطريقة واثقة معتدلة ومتسامحة، حيث أن الآخرين لديهم مزاياهم – أيضاً – وإنجازاتهم وطموحاتهم، وبشكل يترك مساحة واسعة للتعدد والتنوع والاختلاف والاتفاق والحوار والتعايش الإيجابي القائم على الاحترام والتقدير المتبادل لجوانب الاتفاق والاختلاف.

ب: طريقة سلبية تقوم على التحديد السلبي للذات من خلال

تناقضها مع الذات الأخرى للأشخاص أو الجماعات أو المجتمعات المخالفة للفرد ذي الهوية المغلقة. حيث يشعر هذا الفرد بالتميز لمجرد مخالفته للأخر، ومن المفترض أن يؤسس هذا لهوية مغلقة سالبة تقوم على مجرد التضاد مع الآخر المخالف ولا تسمح بمساحة من التسامح والعيش المشترك، بل شعور بالضدية مع الآخر والتناقض معه [12].

ثالثاً: إن الهويات السلبية المغلقة والتي تبنى على أساس المخالفة والتقاطع وليس الاختلاف مع الآخر تواجه مشكلتين هما:

أ: الميل الدائم أو المتنامي لإبراز التناقض مع الآخر باعتباره الطريق الوحيد لتوكيد الذات وما يصاحب ذلك من إحساس بالاستعلاء والتطهر الأيديولوجي، والذي يحول دون الاقتراب من الآخر أو محاولة اكتشاف جوانب الاتفاق أو القواسم المشتركة معه (دينياً واجتماعياً أو عرقياً أو سياسياً أو مهنياً...إلخ)، لأن مجرد وجود عوامل مشتركة أو تسامح مع الآخر يهدد معنى وجودها القائم على المخالفة والضدية، ويشعرها بنوع من الذوبان في الآخر والانكفاء أمامه. وهو أمر يفزعها ويدفعها للابتعاد عن الآخر المخالف بادعاء الضدية. ومن هنا تحدث المجاراة المضادة (anticonformity) أو المغايرة التامة للآخر المخالف سواء أكان فرداً أم جماعة أم مجتمعاً، وهو ما يميز الأصوليات ذات الهوية المغلقة.

ب: المشكلة الثانية التي تواجه ذوي الهويات السلبية المغلقة، والتي تبنى على أساس المخالفة والتقاطع، هو حدوث حالة من الاغتراب عن العصر. ويعني هذا أنه كلما تقدم الآخر (المخالف) حضارياً، واكتسب خبرات وحقق إنجازات جديدة على مستوى التجربة الإنسانية وضع صاحب الهوية المغلقة في حيرة بين أمرين هما:

إما مماثلة الآخر والتماهي معه، فيما حقق وأنجز، ومشاركته الخبرة، والتعايش مع أفكار ومنتجات حضارته. وإما الابتعاد بنفسه عنه وعن العصر الذى يسود فيه الآخر المخالف ويسيطر عليه، معتبراً ذلك مخالفاً لأصالته أو تركيزاً على الجوانب غير الأخلاقية لهذه المنجزات، قياساً على ما يتصوره هو أنه فضيلة [12].

رابعاً وأخيراً، من المهم التأكيد على أن انفتاح الهوية في إطار المجتمعات المتحضرة، تتبدى في قدرتها على تكوين المسارات المختلفة والمغايرة، مقارنة بما لدى أصحاب الهويات المغلقة، وتملك وسائل معرفية غير نهائية وغير يقينية تتمثل بعض سماتها الأساسية فيما يلي:

– القدرة على التسامح، فالهوية المفتوحة ذات مناخ مرن متسامح وقابل للأخذ والعطاء بشكل إنساني.

– القدرة على التراكم، حيث تنتج الجديد والتراكمي من خلال ذواتها الباحثة عن الجديد والغريب في كل ما يتعلق بالإنسان والطبيعة والعالم، وأنها ذات عقل بحثي.

– القدرة على التجاوز والبناء، فهي تبتعد عن القولية والنمطية، وهذا ناتج عن التراكم المعرفي ووجود العقل النقدي الذى يؤمن بالإنسان كقيمة عليا [10].

على أية حال، يمكن القول تلخيصاً لكل ما تم عرضه سابقاً أن ثقافة الكراهية للآخر المصاحبة لانغلاق الهوية لا تنبع فقط من حقيقة الاختلاف مع الآخر أياً كان حجمه وعمقه، ولكن من طريقة التعرف عليه، فهي التي تجعل منه صديقاً يتعين الاقتراب منه والتعاون معه أو عدواً يجب الابتعاد عنه والجهاد ضده.

المراجع

أ. المراجع العربية

[1] فراج، محمد (1971) *مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

[2] حمو، فرعون (2010) *فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أبى بكر بلقايد، الجزائر.

[3] العيلاني، محمد (2014) *الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع*. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، متوفر على الرابط: http://www.mominoun.com/articles

[6] حسن، حسن علي (1991) تهديد الهوية والتطرف السلوكي – نموذج نفسي وتطبيقه على بعض صور التفاعل في المجتمع المصري، إصدار خاص، مجلد 9، عدد 5، *المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة المنيا*: مصر.

[9] العسيري، عبير محمد (1424هـ) *علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بالطائف*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: السعودية.

[10] المسعودي، وليد (2006) الهويات المغلقة والهويات المفتوحة، *مجلة الحوار المتمدن*، العدد (5)، متوفر على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83428

[11] صمويل بي. هنتنجون (1999). *صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي*، ترجمة: طلعت الشايب، وتقديم: صلاح قنصوه. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا.

[12] سالم، صلاح (1436هـ) انفجارات الظاهرة الجهادية والصراع الزائف على الهوية الحضارية، *جريدة الحياة* 26 شعبان: متوفر على الرابط: http://www.alhayat.com/Articles/4674276

[13] علي، حيدر أحمد (1993) *مفهوم الأصولية: التاريخ والمعنى* في: محمود أمين العالم (محرر) قضايا فكرية، قضايا فكرية للنشر، القاهرة: مصر.

[14] جارودي، روجيه (1992) *الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها*، تعريب أحمد خليل، دار عام ألفين: باريس.

[15] زكريا، فؤاد (1998) *الحقيقة والوهم في الحركات الإسلامية المعاصرة*، دار قباء، القاهرة: مصر.

[16] حسن، حسن علي (1998) تهديد الهوية ومشكلة الأصولية والتطرف في المجتمعات الإسلامية، بحوث المؤتمر الدولي (العلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة جرائم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية، ج 4 ص. ص 1 – 59 *كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر*: مصر.

[17] عبد الفتاح، نبيل (1995) *الجماعات الإسلامية الراديكالية (محرر) تقرير الحالة الدينية في مصر*، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة: مصر.

ب. المراجع الاجنبية

[4] Laing, R. (1977) *Self and others*, Britain, Penguin Books.

[5] Breekwell, G. (1986) *Coping with threatened identities*, New York: Mechien Comp.

[7] Moscovici, S. (1976) *Social influence and social change*, London, Academic Press.

[8] Marcia, J (1978) ego identity status, relationship to change in self esteem, general adjustment and authorianism, *journal of personality*, 35, p.p118 -133.

IDENTITY CLOSING AND THE ABSENCE OF A CULTURE DIFFERENCE IN MUSLIM COMMUNITIES ANALYTICAL STUDY OF IT,S DIMENSIONS AND PSYCHOLOGICAL SIGNIFICANCE

HASAN ALI HASAN MUSALAM
Minia University

ABSTRACT_ *The study aimed to link the identity closing and the absence or lack of respect for a culture of difference in our Islamic communities. And get to know the dimensions of this problem and its implications or psychological effects, through a methodology based on the description Analytical qualitative. As part of this study included an analysis of the concept of identity and its importance and correlates, and The concept of ego identity closing and rates or levels of identity verification: (achievement, moratorium, foreclosure, diffusion). also the problem of identity in Arab-Islamic frame. Finally the importance of understanding the patterns of religiosty and its role in the construction of identity. The study also, showed negative effects of identity closing ,like as the spread extreme religious fundamentalism, and the false sense of notability and the tendency to ideological exclusion to the different other. The study conclude some conclusions related The formulation of culturl or civilized identity of the Islamic communities.*